الإهداء

.. إليها في عرسها الذي كنت واحدا من شهودة الداعين إليه

إلي وطني الأكبر إلي مصر .. التي قلت لها :

« سآتيك يوما ربيعا يشيع اخضرارا علي الرافدين ويتمص نهد السماء الحلوب .. ويبتاع فجرا بحلم قديم

وإلي وطني الأصغر .. إلي زوجتي التي عانت كثيرا حتي تخرج كل سطوري إلي النور

ثم أولا وأخيرا إلي أبي وأمي رحمهما الله فهما أصحاب الفضل كل الفضل في كل حرف كتبت ..

و إهداء خاص إلي كل من :

الأستاذ جمال فهمي والدكتور عبد الحليم قنديل والدكتور عزازي علي عزازي رؤساء تحرير الكرامة المتتابعين فلكل منهم بصمة ولكل فضل.

وشكر خاص للمناضل الكبير الأستاذ حمدين صباحي الذي كانت ثقته فيما أكتب دافعا لي علي الاستمرار .. والله الموفق .

كما يطيب لي أن أشكر الخبير الاقتصادي عبدالخالق فاروق علي ما قدمه من مساعدات وخبرات لإنهاء هذا الكتاب .

obeikan.com

obeikan.com

تقديم لابد منه

شاهدني أحد الأصدقاء في ميدان التحرير ، متلبسا بالمشاركة في ثورة الخامس والعشرين من يناير ، فناداني وهو يصرخ فرحا :«ابن الصابر في الميدان» ، فقلت له : « من اليوم الأول ورحمة أمي وأبي » .. احتضنني وهو يذكرني باليوم الذي أقسمت فيه ألا أسير في مظاهرة ، بعد أن سبني أحد الذين كان الأمن يدفعهم ، لافتعال شجار تستطيع فرق الكاراتية التدخل بحجته لضرب المتظاهرين ، وقال لماذا عدت في قسمك وامتنعت عن النضال علي الورق ؟ فقلت له أنا لم أحنث بقسم قطعته علي نفسي أبدا ، فأنا لست أحد المشاركين سواء من الشباب الذين دعوا للثورة ، وتفاعلت معهم من أول يوم ، أو من الكتلة التي كانت صامتة ، قبل أن تحصل علي حبوب منع الصمت مجددا ونزلت للشارع ، فسقط منها من سقط شهيدا لترتفع مصر كلها فوق أكتافه ، انا لست هؤلاء بل كلهم .. قال لي كيف ؟ ونحن كنا ندعوك للنزول للشارع وكنت تفضل كتابة موضوع يكشف الفساد ، عن أن تنزل للشارع للاشتراك في تظاهرات حركة « كفاية » ، وأنت عضو فيها .. حتي أنك قلت للدكتور عبد الحليم قنديل ذات مرة :« يا دكتور :« أنزل واسيب الناس اللي جايبالي مستندات لحملة الفساد اللي باشتغل فيها ؟ .. فرد الرجل لأ خليك ناضل هنا أحسن » ، .. هنا دخل صديق آخر وهو ينفي ما سمع بقوله :« لأ يا أخي الراجل يشارك منذ فترة ، كان معنا في مظاهرات الوحدة الوطنية بعد حادث كنيسة القديسين » .. هنا تدخلت قائلا :« كلاكما علي حق .. لكن من ترونه الآن ليس مشاركا في الثورة ، بل أن كلامكما يؤكد ما أشعر به ، وهو أني لست مشاركا سواء بالفرحة أو بضياع أعراض مرض الصمت ، فأنا أشعر أنني صاحب الفرح .. ألم تقرؤوا ما يكتب في الصحف هذه الأيام ؟

رد كلاهما في صوت واحد :« والله افتكرناك .. وقلنا : صدَق وها هو ما كان يكتبه وترفع ضده القضايا ، أو ينفي في صحف النظام بإعلانات مدفوعة الأجر ، ينشر الان باعتباره فتحا من الفتوحات أو كشفا لشيء لايزال كشفه بكرا هم الذين فضوا بكارته ، وهو مفضوح في «الكرامة» من قبل صحف كثيرة » ، لينفرد

أحدهما بالكلام مجددا وهويقول :« فاكر لما كشفت موضوع ذبح سنابل القمح وحاول الوزير الإنكار ، ولم يستطع ؟ وبعد ذلك أخذ مريدوه والمستفيدون منه ينفون ويدعون أن ما ذكرته محض شائعات ، حتي أن إحدي الصحف اليومية أعادت نشر موضوع عن السدة الشتوية في يناير ، في نهاية مارس ٢٠٠٨ ، لتكذب الواقع باعتبار أن الفلاحين يتشاجرون علي الري بسبب قلة المياه » ، قاطعته : «وقتها رددت بالأدلة فرد رئيس تحريرها في التليفزيون بالتحريض ضدي » ، فرفع أحمد عز دعوي قضائية كسبتها بعون الله وفضله ، فذكرني الآخر بما كان يقوله لي بعضهم :« انت بتلعب في السلك العريان » ، وبتهديدات أمن الدولة والفاسدين بالموت والإحراق ، حتي حين تقدمت ببلاغ للنيابة مدعوما بالمستندات متهما أشخاصا بعينهم بتهديدي بالقتل ، لم تلتفت النيابة للأمر ، فيما كانت كالصاروخ إذا قدم أحد الفاسدين ضدي بلاغا ، حتي كان أهم الأشياء عند وكيل النيابة متلقي البلاغ هو معرفة إسمي الكامل حتي لا ترفع القضية باسم الشهرة ، فيخسر الفاسد أوتفسد دعواه ، وكم من مرة تعرض الزملاء «بالكرامة» للتهديدات أو البلطجة الشرطية لا لشيئ إلا ليكشفوا عن إسمي الحقيقي » ! .

قلت لهم :« لاتذكروني بما كان دعوة لهذا الفرح ، أنا صاحب هذا الفرح يا ولاد ، ربما لا أكون الوحيد لكني أشعر أنني صاحبه ، قمت بدعوة هؤلاء جميعا ، منذ أول موضوع كشفت فيه عن فئة أو عمل فاسد ، وتحملت من أجل الدعوة كل ما تحدثتم عنه ، .. كانت المنصة في الميدان تذيع ما نشرته الصحف الغربية والمصرية ، عن ثروة الرئيس وأعوانه من أتباع ولده الذي كان مبشرا بالتوريث ، انتبهنا لفترة قصيرة ، فإذا بيد تهزني وصوت أعرفه يقول :« مش كان كتابك لو خلصته هو البطل دلوقتي ؟ » نظرت ناحية الصوت فإذا به الصديق المناضل أمين اسكندر مستشار تحرير «الكرامه» ، الذي ضرب كتفي محفذا بقولة :« لازم تخلص الكتاب » ..

هنا سرحت بخاطري وتساءلت : « كيف والسيل كان منهمرًا ؟ . كيف أتوقف لأكتب بعضا مما سجلت وكشفت ؟ والفساد كان عرضا مستمرا ؟ أأتوقف رغبة في شهرة ؟ وأنا العازف عنها الهارب من كل الكاميرات بعرض الميدان وطوله ، رغم إلحاح أبنائي وتلامذتي في أن أكون واحدا من مناضلي الفضائيات استغلالا للظرف أو ربما للحصول علي بعض الحقوق التي أهدرت رغما عني ؟ ، كيف كنت أترك

المستندات التي كانت تنهمر علي قادمة مع المظلومين ؟ من أبناء النوبارية مثلا ، بدعوي انشغالي بإنهاء كتابي ، الذي تحدث عنه الأستاذ أمين ؟ ، قاطعني أحدهم قائلا :« هيييييييييه فينك ؟ » انهمرت دمعتي فجأة وأنا أقول كنت هنا مع أولادي أقدمهم وأنا في مقدمتهم ، أجري وأقتحم وكأن لي قوة دفع سداسية لي ولأولاد لم أنجبهم ، فأرسلهم الله بالملايين لي ليحققوا ما كنت أدعو إليه حتي يومين سبقا قيام الثورة .

يا صاحبيّ : أنا أحد أصحاب هذا الفرح .. دعوت إليه ووضعت أساس قيامه بكل ما كتبت عن الفساد وغياب العدالة الاجتماعية ، وماسجلته عن ثروات «ياوران الفساد في جمهورية الفساد» ، فتحت ملفاتهم قبل أن يلتفت إليهم إلا القليل ، فتحتها كاملة حتي أن كل خبر عن اكتشاف لجرائمهم يضحكني ويثلج صدري ، فهم كما أطلقت عليهم « كابوي المعونة الأمريكية » ، ولوبي الفساد المكون لاتحاد ملاك مصر ، وهو ملف استمر لشهور في أعداد متتالية ، من بعده فتحت النيران بكافة أنواعها علي كل فاسد امتلكت ضده مستندا دامغا ، حتي أن إحدي المنظمات الحقوقية المهتمة بالقانون ، حصلت على الآلاف من هذه المستندات ، فكانت اللبنة الأولي في البلاغات التي قدمت ضد لصوص الأراضي ، ومصادري الحريات وتجار الموت الذين لايزال بعضهم خارج السجن حتي الآن .. بعد فترة صمت قال أحدهم :« يابني طيب ساكت على حقك ليه ؟ ما تخلص الكتاب وتثبت حقك » ، فضحكت وقلت :« هون عليك أنا لست صاحب هذا الحق بل هي مصر وتاريخها ، بل هم شهداء الثورة وأبطالها الحقيقيون ، كما هو حق للناس جميعا أن يعرفوا الحق ويتبعونه ، أن يعرفوا كيف قفز البعض على جهد ليس له ، وعمل لم يبدأه ولم يبذل فيه جهدا ، بل كان ضده على الدوام ، ومن أجل ذلك وجب علي أن أنصاع لحكم التاريخ ، وأن أكتب وأسجل ما بدأته صحفيا ، ليكون جزءا منه متناً لكتاب أحتار حتي الان في إسمه ، هل يكون «اتحاد ملاك مصر» كعنوان الملفات التي فتحتها بداية من ديسمبر ٢٠٠٥ ؟ ، أم مقرونا بـ « في جمهورية الفساد » .. قال الإثنان :« يا سيدنا إخلص الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك .. تركتهما و أخذت في الجري ، وأنا أتذكر ما حدث يوم الأربعاء الدامي بداية من موقعة الجمل وحتي نهاية يوم الخميس التالي له ، وكيف لم أشعر بتأثيرات مرض السكر أو الضغط ، أو مزق أربطة القدمين ، أوالنقرس أو كبر السن

.. هرولت من الميدان حيث الثوار مصممون على نجاح الثورة ، فيما أنا أسعى لاستكمال نضالي علي الورق لأمنح التاريخ نصيبه من الحقائق المدعومة بالمعلومات والوثائق ، والتواريخ التي تثبت أن الرجال لا تصنعهم الثورات بل هم الذين يصنعونها ، وأن الحق لابد أن يعود لصاحبه .. نعم يعود .. إلي أخوتي في المصير .. إلي شعب مصر الذكي ليعرف ويعتبر ويفرز .. فله الحكم في النهاية ..

بقي أن أذكر أن السطور التالية لم تكن سوي رحلة شاقة مع الفساد والفاسدين .. رحلة كان من الممكن أن أروح ضحية لها ، ولم يحدث .. رحلة حرصت علي وضع صور ما نشر ليري القارئ العزيز زمن نشرها ليكون هو واهبها للتاريخ مسجلها عوضا عني .

عماد الصابر

obeikan.com